المقتطف

الجزء الخامس من المجلد السابع بعد المائة

١ مسرى سنة ١٩٤٥ — ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٦٤

بحث علمي تعليمي

الثدييات

Mammalia

اختلف الكتّاب زمناً، ولا يزالون مختلفين، في وضع المقابل العربي للمصطلحات التي تعبر عن طبقات الاحياء في علم التصنيف Taxonomy (أو) Classification، ويقصد به ترتيب أصناف مملكتي الحيوان والنبات ترتيباً تطابقيًّا، بحيث يظهر من ذلك الترتيب سلسلة تطورها ومتواليـة نشوئها، على قدر ما يؤهل الباحثين علم الاحياء الوصفي، ونُقصد به ما جرينا على تسميته الى الآن علم التاريخ الطبيعي حيناً، وعلم المزاليد حيناً آخر، والمصطلحات الثلاثة طيبة ولا مأخذ عليها، فلا حرج من استعمالها مترادفة.

* * *

ومن أجل أن نتكلم في الثدييات التي هي الشعب الأعلى في الفقاريّات، ينبغي لنا أن نذكر هنا ما انتهى اليه مجمع اللغة العربية في مصطلحات التصنيف، وبالحري المصطلحات الدالة على مختلف الطبقات. واليك هي:

العالم	Kingdom	العشيرة	Group
العويلم	Sub-Kingdom	العُشيرة	Sub-group
الأمّة	Phylum	الفصيلة	Family
الأُمَيْمة	Sub-phylum	الفصيّلة	Sub-family
الشُّعْب	Class	الجنس	Genus
الشُّعَيْب	Sub-class	الجنيّس	Sub-genus
القَبيلة	Order	النوع	Species
القُبَيّلة	Sub-order	النُّوَيْع	Sub-Species
العشيرة	Tribe	الضرب	Variety
العُشَيِّرة	Sub-tribe	الضُّرَيْب	Sup-variety

وهنالك مصطلحات أخرى لا تدخل في باب التصنيف ، وإنما تدخل في بحوث الوراثة كالنسل والسلالة والبطن والعترة ليس هذا موضع ذكرها .

والثدييات في طبقات التصنيف شعب : Class ، أما الكلمة المستعملة : Mammals فترجمتها ذوات الثدي ، والكلمة الاصطلاحية : Mammalia : الثدييات ، وهو اصطلاح يسهل استعماله لغويًّا . ذلك بأن الثدييات لفظة تؤدي أغراض اللغة كاملة ، وتقصد أغراض الاستعمال اللغوي من إفراد وتثنية وجمع ونسبة الى غير ذلك ، فنقول ثدي وثديان وثدييات ، وتتفادى بذلك ما يتضمنه اثبات اللفظ « ذوات » من الصعوبات إذ سماها بعضهم « ذوات الثدي » . وقد أجاز مجمع اللغة هذا الاصطلاح .

وقد اختلف كثير من الكتّاب على تسمية الطبقة المعينة للثدييات في تصنيف الفقاريّات فسماها بعضهم « طائفة » وقال الآخرون « قسم » وغيرهم « مرتبة » ، والاصلح أن نجري على ما أقرّه مجمع اللغة ، فلفظة « شعب » هي عندي أصلح هذه الالفاظ . بل لقد تطرّف أحدهم في تعريف معجمي فعرّب المصطلح وقال « الماماليا » ، وهذا إفراط لا موجب له .

فان الثدييات إحدى شعوب ستة تنقسم اليها مملكة الحيوان ، وهي :

الثدييات	Mammalia	البرمائيات	Amphibia
الطيور	Aves	الأسماك	Pisces
الزواحف	Reptilia	الفقاريات الدنيا	Lower Vertebrates

هذا عند الذين يعتبرون الفقاريات مُستَمْلِكة من مملكة الحيوان . والذين هم على هذا أكثرية ، وعلى مذهبهم يتعين أن تكون الثدييات شعباً Class ؛ وهنالك طائفة اخرى ، وهم أقلية ، يعتبرون الفقاريات مملكة Kingdom ، وبذلك يتعين أن تسمى كلٌّ من طبقاتها « أمة » Phylum . وكلا الاعتبارين يمكن الحصول على ما يؤيده علميًّا في التصنيف . على أن الأكثرية هم الذين يعتبرون الفقاريات مُستَمْلِكة ، ورأيهم أثبت .

كذلك ينبغي ان ننبه على خطإ شائع . ذلك قول بعض الكتّاب « ذوات الفقرات » تعريباً بالفقاريات . ذلك بأنّ الفَقَرات والفقارات جمعان يستعملان لغويًّا لتمييز العدد لا غير . وإنما الجمع المستعمل للدلالة على الجنس هو الفَقَار . وظني أنه لم يرد غير ذلك في كلام لغوي . وانظر قول ابن منظور في لسان العرب « فَقَار العجز ست فقارات » . فهو يذكر الفقار للدلالة على الجنس ، ويميز العدد بالفَقَارات . ألم تسمع بأن ضيفاً لعلي بن أبي طالب سمّى « ذا الفقار » ، لأن به فقاراً يشبه فقار الظَّهْر ؟

أما تفضيل ترجمة اصطلاح Mammalia بالثدييات فأرجح وجوهه إنها ترجمة على الحقيقة تدل على الصفة الذي أخذ منها المصطلح الأعجمي . على العكس مما لو سميناها «الحيوانات الثُّدُون» أو « الثِّيونَة» كما قال بعضهم خطأً ، فإن ذلك يكون وضعاً على المجاز ، لا ترجمة تطابق المعنى الاصلي ، أي على الحقيقة .

ومحصّل ما مضينا فيه من بحث هو أن — « الثدييات شعب من مملكة الحيوان (أو مملكة الفقاريات) يمتاز أفراده بأن لها ثُديًّا تفرز أثناء لتغذية الولائد » .

وقد دخل هذا الاصطلاح في الاستعمال العلمي في اللغات الأوربّية في أواسط القرن الثامن عشر فذكرتها الموسوعة البريطانية سنة ١٧٧٣ (ج ٣ ص ٣٦٢) . ثم جرى على استعمالها العلماء .

ومما يؤيد ما أذهب إليه في ترجمة هذا الاصطلاح ما جاء في كتاب كيرتج « للتاريخ الطبيعي » (ص ١ ج ١٠) فقيه ما يلي : « اشتق اسم الثدييات من أظهر صفة فيها ، وهي أن لها أثداء وحلمات . أما إذا أريد استعمال الاصطلاح بمعنى حرفي ، بحيث لا يحمل من الدلالة أكثر مما يجيز الاشتقاق ، فإنه لا يشمل المملكيّات Monotremes أو Monotremata ذلك بأن هذه القبيلة إن كان لها غدداً ثديّية ، فإن حلماتها لم تبلغ من التَّحَفي والظهور حدًّا كبيراً . غير أن في المملكيّات من جهة أخرى صفات تلزمنا اعتبارها من الثدييات » .

أما تصنيف الثدييات فقد أهتديت إلى آخر ما يستنتج من بحوث المواليدين فيه بحسب اعتبار تقاسيمهم . فالتصنيف التالي من وضع الأستاذ « ليدكر » Lydekker ، وهو كما يرى

تصنيف يبدأ بالطبقة العليا وينتهي بالطبقة الدنيا :

صف الثدييات : Class : Mammalia

الشعيب الأول : Sub-class I

Viviparous Mammals (Eutheria or Vivipara)

الثدييات الولود — أو — الولودات

القسم (أ) : Section A

المشيميات : Placentals or Placentalia

القبيلة ١ — الرئيسات : Order 1 — Primates

» ٢ — الخفاشيات ,, 2 — Chiroptera

» ٣ — الحشريات ,, 3 — Insectivora

» ٤ — اللواحم ,, 4 — Carnivora

» ٥ — القواضم ,, 5 — Rodentia

» ٦ — الأناعيم ,, 6 — Ungulata

» ٧ — الخيلان ,, 7 — Sirenia

» ٨ — الحيتان ,, 8 — Cetacea

» ٩ — الدرداوات ,, 9 — Edentata

القسم (ب) : Section B

اللامشيميات : Imblacentals (or) Implacentalia

القبيلة ١٠ — الجرابيات Order 10 — Marsupialia

الشعيب الثاني : Sub-Class II

Egg-laying Mammals (Hypotheria or Ovipara)

الثدييات البيوض (أو) البيوضات

القبيلة ١١ — المبلكيات Order 11 — Monotremata

أما التصنيف التالي فمن كتاب كمبردج للتاريخ الطبيعي في الجزء الخاص بالثديات تأليف الأستاذ « بدرد » F. E. Beddard ، وهو كما يرى تصنيف يبدأ بأسفل الطبقات وينتهي بأعلاها .

شعب الثديات : Class : Mammalia

شعيب الغوارط : 1. Sub-Class : Prototheria

القبيلة ١ ـ المسلكيات أو اللّوذريّات Order 1 — Monotremata or Allotheria

شعيب الولودات : II. Sub-Class : Eutheria

القبيلة ٢ — الجرابيات	Order 2 — Marsupialia
« ٣ — المدرداوات	„ 3 — Edentata
« ٤ — الشّنيات	„ 4 — Ganodonta (ext.)
« ٥ — الاناعيم	„ 5 — Ungulata
« ٦ — الخيلان	„ 6 — Sirenia
« ٧ — الحيتان	„ 7 — Cetacea
« ٨ — اللّواحم	„ 8 — Carnivora
« ٩ — القرميّات	„ 9 — Creodonta (ext.)
« ١٠ — القواضم	„ 10 — Rodentia
« ١١ — النّهّاسيات	„ 11 — Tillodontia (ext.)
« ١٢ — الحشريات	„ 12 — Insectivora
« ١٣ — الخفافيات	„ 13 — Chiroptera
« ١٤ — الرئيسات	„ 14 — Primates or Primata

والذي يتضح من الموازنة بين التصنيفين ان الأستاذ بدرد يزيد على تصنيف الأستاذ ليدكر ثلاث قبائل جميعها بائد ، هي المعرفة بالأرقام ٤ و ٩ و ١١ (ext.) وغرضه من هذا أن يبين طريقة التسلسل في الطبقات وتطور وجودها. وفيما عدا ما ذكر فالخلاف بينهما ضئيل .

اسماعيل مظهر